



خلف علي الخلف

كحل الرغبة

شعر

www.lulu.com

كُحْلُ الرِّغْبَةِ

شعر

خلف علي الخلف

www.jidar.net

الناشر: LULU PRESS

KOUHL OF DESIRE

BY

KHALAF ALI ALKHALAF

First Publishing in November 2008

Copyright ©

لوحة الغلاف: للفنان العالمي جان ميرو

تصميم الغلاف: أشعار الباشا

الخطوط: المصمم الموريتاني محمد حسن

الطبعة الأولى: تشرين الثاني 2008

جميع الحقوق محفوظة

ISBN:

إلى غيلان و إنانا الرافدين

صغيريش.. كدمعة تنهمر من الروح، حملتما وزر الغياب

مولاي.. يا أسوداً لا يُضاهى بدمع

الأصابع تخطيطُ الضوء؛ الأصابع تخطيطُ الأسودَ بالأبيض؛ الأصابع
العمياء؛ الواهنة؛ التي ترتعش بإبرة تدونُ الزمن، ترتل المسميات
على حجر اسود، وتتكسر الدم إذ يسيلُ تحت مساماتها.

هاهو السواد تخطيطه الأصابعُ بالضوء
تنسى أيامها / قبورها / مدافن الأحياء
تتعثر بالماء والماء اسود..

أيها العالم أرممك بين فاصلتين وأتنحى جانباً كي يمرّ السوادُ أمشي
وراء صداها إلى بركة غصتْ بدعاءٍ يتمرّ في صورتني؛
..و

الماءُ

ألقي الممدودة إلى ظهر فرس تجفل مني كلما همتّ اليابسة بي
الماءُ خاطته العجائز ثوباً؛ شققته يوم الرحيل،

والماء أنتى؛ عطشٌ لا ترويه الحيرةُ / والماءُ أولُ الواصلين إلى مآتمي

والماء صوت ينادي:

يا أيُّها الأسود الذي في سديم المروءة لك ملحنا؛ صناديق ملؤها

الأسمال؛ جفاف قد شغف بالحلوق؛ لك نعمة الهجرات واترك لنا

أمننا...

تعبنا من لهفة تنظر الغيم..

وأنت يا أسوداً لا يملُ السواد تنسج مراثي؛ أثواب دعاء؛ بُسْطاً من
السحر تحملنا إلى الله

وما الله قَبِر

ومالله رِيح

ومالله غفوة الواصلين

غير أنا نصدق رِيحك إذ نعيى بشغفٍ مدفونٍ بين حروف تنبئ
الموت

ونرحل عنك أول الضوء

ومولاي أنت تظلُّ أسوداً لا يضاهاى بدمع

ننشج فوق قبرك

خذنا..

عشاقاً مرسلين؛ نتلمسُ الضوءَ في وجهك أسوداً ونشهبُ بالغبية؛
نقطرُ الصلوات في بهاء الرحيل؛ نحنُ للخطوة الـ غادرتنا؛ للمراعي
ترعى بها أفواهنا هيبتك. نرتقي أولَ العشق لنكون السراة إلى
مجدك الـ ضاع منك، ونتقمصُ السهد مبادلين أرواحنا في ظلك؛
نشمُّ البُعاد من تحت إبطك؛ نرتوي من ريحةً فارقتنا.. وأنتَ صلاةٌ
تقطرُ أحزانها. أدخل نسغك نشيداً؛ أبدل ضوءك بعبرةٍ صارتني؛
والضوء ارتحال؛ والضوء وجدٌ يفوحُ بأثرابنا...

فلا تبدل الضوء باسمي و تطعمه للِسواد

فالضوء يتم؛ والضوء وصل؛ والضوء أجراسُ الخطى مالنا غيره..
نحنُ منه ما يضيء؛ ونطعم منه الحبيبة إن اشتهدت؛ نتركه
يسيلُ على عناقنا يبيل لَهفة الأجساد وهي تختلط ماءً؛ ونشهبُ
بالضوء حين نصل سدرة الارتجاف!

منه تكتحلُ البصيرة؛ ونرسم معراجنا للحبيب؛

نكحلُ به المقامات؛ ونستر الكشف بأصابع ترتعش حين يسيل
الحبيب

فغفرانكَ الذي لا يتسع للماء وهو يتشكلُ روحاً نراه..

توحي بسوادك للصمت كي يخنق صوتي؛ وما كنت زانياً بأيامي غير
أنك أقفرت مُهجتني بالغياب؛ والغيب أسود..

سأمضي؛ نائمةً بلا ساقين، أماكن تتلمس صورتك مرسومةً في
بهاء الظهيرة؛ فلا تنهريني بقامتك التي مثل صلاة الغروب..

صبّ لأجراس حلمتيك تدندن تسابيح الخرافة على شفطيك عشبة
الضوء وأغنامي خطيئة صلاتي تلامس كحلاً يغني حول عينيك
والبياض صورتي؛ البياض قامتي؛ البياض نشيجي..

أشربُ الليل بأنية الجمر؛ وما كان ناراً، لكنه جسدي؛ يجفُّ في صحراء
يرسلها الربُّ لي كلما استيقظ!. يداك تعيد الخليقة إليّ وتنفخ فيّ
لهاتها يشبه الروحَ أحياناً؛ تورق قامتي في ظلال صهيلك تجفل
غربتي من بسملاتك وأنت تتمتمين بين شهقةٍ وأخرى:

باسمك أطعم جسدي للضوء

وباسمك أعجن قمح قامتي رغيماً للمصلي غربةً في جسدي..

خذيـني

إلى مآتم الحب

أرضع ما سال من حلمة صوتك وأرى صورتي في البياض الذي
هدّني. أجدل ما تناثر منه بأصابع هي الضوء إذ يخجل الليل منها
وأنت فراق الأبد؛ لونه؛ سمته؛ إذ تغيب الجهاتُ. أتناسل مثل
قطيع النبوة؛ أسعى إلى صحو صبحك وقد نسيتـه الليالي

أسقط من شجرٍ أورقني ليلاً؛ لأحمي مرورك من عبرتي، وأروي شجر
الغائبين أحفن ملهم؛ أسحن أثارهم بيديّ.. أجدل الماء سلماً
وأنت تصعدين الروح شهقة لا تميل.

يا أسوداً لا يحدُّ

يعذبني حضوركَ وأنا أخیطُ الضوءَ بالمنفى لأنسج ثوباً أستربه

الصحراء في جسدي...

أرتقي الخدرَ

يرتقي الخدرُ سلالم روعي..

إلى السنين.. السنين سؤال؛ والسينن نهرك إذ يفيض مواويل فراتٍ
حزين. أصرخ مولاي: لا تحسب السنين شمساً فتشطر أيامي بدورة
الوقت فالسينن وجدُّ يباري الصلاة لتحضن وجهك / وجهي

والهاء صوت المنادي على عشبة فارقت أرضها أمسك الهاء
بيدي وأحنو عليها كأم فارقت نسلها: ياهائي وهوائي إذ يسد العجاج
نوافذ الحال؛ بك أرمم ما يعتري جسدي من ندوب الغياب..

أدنو من البئر؛ أبصر فحياً؛ هاء؛ تشرب رائحةً سقطت منّا يوم ابتللنا
بسهو يفرخ فينا الملوحة؛ وأشهقُ

بالياء ماءً

يراوغ لهفتي ويتجلى عراة يخلطون الريح بالضوء لتنجبني، والياء
اغتصاب البكاء بدمعتين. وأصعد نحوك؛ أشقُّ ستار الحروف لتبكي
اختطاف النبوءات من قبور الخطيئة...

ومولاي أنتَ صوتك غباري؛

لمّ الخطايا من خطاي..

أنا من سيقود المشيئة دون أجراسك؛ وأنا من عاف خمركَ وقد
تركته الخرافة على بابنا

فلا تأخذ الرء مني

كيف أناديك ربي! وكيف أعدُّ جراحي وأشتلها كغيبِ يعمي البصيرة!
خذ بصري إن شئت؛ سأنسج الرء يداً عمياء تقطر الرائحة من البراري
وتمسح بها جسدي، مثل زيتٍ تسيّلُ منه رائحة الرب؛

فينهض شبقني من قبره؛ لأنثى تباري أيامي كظلي؛
هي الضوء..

والضوء؛ عتمة نسيت نفسها في سمائك

والضوء؛ ارتجاف الكحل في عين الحبيب...

أجفل إذ يلامس الضوء وجهي وأنا عتمة غادرتها الصباحات.
أصابعك ارتعاش؛ صوت بكارةٍ تختلج؛ زهوةً الفيض إذ تشرق اللذة
بين جسدين مجدولين ضوءاً وماءً
وأنا صراخ
صراخ

مولاي لا تأخذ الضوء مني؛ تربطني إلى حجر أسودٍ أصبحُ
في غربة أنبتت جسدي...

أَيُّهَا الْمُرْتَجِي: اسْتَغَاثَاتُ الْغَرِيبِ

لتكن الأجراس عالية أيها النشيدُ

ودعنا نلمّ الحفاة؛ نولم لهم الأرض؛ فالبداية نهرٌ والعبور سرابٌ أو
فتنة، والابتهاال يترصد الغريب؛ يمد يده إلى لهاته ليخرج الصوت
وما كان نحن.

نقتاتك؛ نتوسدك أيها المرْتجى. العيون ترعاك كدمعه صيغت على
عجل والفضاء خيطننا إليك؛ وأنت تحاذينا في مرورك من جانب
المقبرة؛ فترتعد أسماؤنا

ولنتُ ليلٌ ولنتُ حسرةٌ

بسُ غيابُ

وننظر الدرب اليجيبك

وتوهن الأيد التنادي:

أيها المرْتجى؛ يا بياضاً يأكل غيمنا ياسطوةً تنهر الاكتمال يالوناً
يتبدد في الاتساع ونحن قبره ومراياها..

الْوَسْنُ عَلَى جفون الأَكُف؛ والضراعَةُ تتردي دمعها؛ تتلو غصتنا
كأرملة قتلت زوجها وتندبه: بيضاء خطاك؛ الطرق أكلت أقدامنا؛
ضمدناها برماد الخبيثة... والقناديل مازالت تومئ لنا بالضوء..
فلا تشقّ لنا القبور، لا تحتفي بأيتامنا؛ اتركهم حجراً أو شاهد..
نريدك رباً جليلاً نحطبه بالذنوب..

الضلالة تتسع أيها المرْتَجى وتغدونا بياضها تقودنا نحو حتوفٍ
من كل صوبٍ ونحن نتغرغر بماءٍ لهفتك؛ ونسرح بخيل عُقرتُ في
خطانا

ابتلينا برملك وما كُنَّا الثقاة
ابتلينا بصحرائك وما كُنَّا سناما
ابتلينا

وهاي ناطر وانترجى الكاع تنشك

وتردنا من غيابك

لا جسر نمشي عليه وانتة تدري

ولا هدمُ نتدارى بيه وانتة تدري

ووهنت الخطوات بينا

وارتجينا المي

من عين العطش

وانت تدري

أيها المرْتَجى

الأخضر رائحتك، وزندك جلالٌ يتقمّص الإيضاح فيك دفنا
أمواتنا ونظرناهم؛ فيك حفرنا قبورهم وضيعنا شواهدنا وأنت
تماطل؛ تسرفُ في الصمت ونحن نتوجسه وقلنا لك لا تعمّر مدناً
بغير ساكنين

لا تعمّر مدناً بثلج يسور الغرباء

لا تعمّر مدناً بصحراء ترمّل الأجساد

وقلنا لك القلوب القلوب؛ انها مأوى الغرباء؛ بيوتهم؛ جمرهم؛
أمهاتهم؛ أبناؤهم والقلوب ليست حجارة و أنت تدري..

لست واحداً أو أحداً؛ غير أنني أصغي إليك بنهاة كلب الرعاة وأحشره
 في غيابة الاصطفاء لينجو سعاري..
 أنا لوعة المخصي أو فرط اشتهائه للأنوثة؛ أتناسل الشكوى
 لتجعلني وليداً يرضع صوته من صدر صحراءٍ ويغصُّ بالذي غادره.

فيا أيها الذي سفحتك الظعون في هجرة تسعى إلى النفس أرني
 صوتك
 أرني ما تحلل مني في مجرى يجفُّ إلى مسعاه وحافياً أعبُر المُرْتَجَى
 لأغزلها في نشيدي

عيوني عطش لخطاكُ وانتِ تمرين

وانتِ سواد العين و شلون اشوفكُ

كُحلُّ الرِّغْبَةِ

الرغبة تكتحل؛ الرغبة تغمرني كطعنة تعلّم أصابعي الاستلقاء
تجهل اللغة / الفاصل بين الذنب والبراءة الرغبة عري الأموات..
لم نلهث ما يكفي لنشيّد نورها لم ننطفئ ما يكفي لتهجرنا
نتوارث صداها ونضيع ما تختاره الأعراس. نردم الهوة بين ما غمناه
من أسماها وبين السكاكين التي تنهش نهارنا

تعالوا أيها الموتى

تعالوا

لم نعد نرى توأم الحميمة يصلي مفردا / لم تعد الصلاة تكفي
للوثوب إلى ربنا لنسرق وجهه / لم يعد ذلك الوميض الذي يخطفنا
من خرائب الآن..

ونحن بشر بفأس عارية؛ فأسُ تضحكُ مشرقة الحواف لتشجنا عن
الشوق

والشوكَ قبرٌ مهجورٌ

إيترجى الفاتحةُ

والشوكَ ضيعنا ابطريكن ما تدورُ

وموتنا البعدُ

وغدينا بانتظار البارحةُ

شمساً ضامرةً زمناً يكورُ أيامه وما كُنَّا جسراً لتعبيرنا الرغبة
كالذئاب

العبورُ سحرنا؛ وليمتنا لعائلة المصلين؛ والذئاب لا تصلي، لا تعرف
اسمك، ولم نكن يوماً نسلها؛ كُنَّا كل هذا الزمان نرسم الخديعة
لنسرُق انتباهك؛

نمشي إليك فوق دمامل أجسادنا؛ نشتري وردة اللهفة بغيمة مسرّتنا
ونزرعها على جانب المصير؛ نسورها بحياتنا الفائضة، على مرأى من
الفصول

حياتنا، التي لم نصنها؛ لم نحترف بها؛ لم نداعبها كطفل يسرق
البسمات؛ فلم تترك أثراً

الأمانة التي خناها؛ العذرية التي أغرانا شبقتها وما عرفنا الولوج إليه.
امتلاًنا رغبة بها وما فطنا لجسدها أنت ضللتنا كسرت سلم
السعي إليها؛ ولم نكن بغتة لتفاجئ التهور

على حافظك كُنّا وأنت تذبُلنا بالوصايا. لم نوثر الغرق في نهرها؛
كُنّا نخاف آية الحمى ترتجف فينا كلما انزلق وعيدك الـ ما حفظت
غيره. لم نجازف كريح تلقي بأنفاسها؛ ولم يمهلنا الفناء لنبتهل...

لا نلومك يا سيدي لكننا نقيم صلاة الغائب على أرواحنا. أرواحنا
التي انتهكتها بسيوفك، ونحن نجمع الخطايا لنوقدها نارا تستدلُ
بها على أيامنا

وكالعائدين من الموت نذكرُ الأسفار؛ نروي سيرنا للأبد الذي يرفع
صوته ليوقظ، فينا الزمن ونرحل.. نرحل؛

لا حنة عل كفوفاً

ولا كحل بالعين

لا ماي نلكى بالدرب

لا أمل نكعد بظله

بس حنين يسترجيف القلب

ويغازل الشوف

وأنت نداءً ونحن تيه؛

نصغي للعويل ترسله أطلالنا؛ ويطربنا نواح تلهج به أيامنا السالفة

وكُنَّا انتظَارًا يتلوَّى كالمرارة وهي تعصر زوراً في صوت المغني
 نستردُّ الضغائن لنطعن بها الأحبة؛ نُسدل الهروب على ما يطاردنا
 وننسى الحياة التي بين أنفاسنا؛ وبالرمل تدفن البهجة كلما أطلت،
 ونحن نشاركك السيف لقتلنا، ونبتهج بنذب الأمّهات

ترملنا؛ قلنا: الأبد أرمل

قُتلنا؛ قلنا: الزمن لا يورث

قُبرنا؛ قلنا: التراب سيرة البدء

وأنت تتكاثف في سمائنا وتطارد رحلتنا بالأبائيل ولسنا غزاة.. لم
 نغزوا سوى فراشهن وهُزمننا. تركنا رائحة يتيمة معلقة هناك

وناديناك: ها نحن أشعث أغبر؛ نقسم عليك؛ أن لا تسترنا بالفجيعة
اصغ لأسرارنا، للألفة التي هجرت منازل القلوب، لا تتلهف لدمنا؛
طعمه عزلة، ورائحته تزكم الميتين

لا تسلبنا المخيلة، واعطنا جمرا يوهج وحشتنا. اعتق رقابنا؛ أمواتك
نحن.. مالك وللقرايين!

اقترب منا نفتح لك دفتر الأيام لترى حضورك وغيابنا لترى الكؤوس
فارغة من البهجة ونحن نشربها، لترى أننا ضريح عافه الزائرون؛
بابه الأرامل؛ غطاؤه الخيبة؛ حارسه صقر يأكل فضلات الصدف

نمُ معنا في الفراش، تلمس أجسادنا تصطك برغبة واهنة، ابصرها
مفردة كرائحة الأمس، لا صوت لها ولا لهاث يستنزف التساييح، ولا
تتاغ أحداً :

ألمك بالحظن وارد اسمع الخلجات
بيك اداوي هل وجع واعبر سنينك
واحظنك حيل يل وجهك صهيل الخيل
بيك اداري كل فرح ينسكب دمعته..
اكلك يا جسم يشهك صلاه
هل جسم كلو جروح
حيل ضمنى وانجرف بيا نهر دافي
يبس ضلوعي البرد
وانه اناطر هل ادين
تعصر من القلب لهفة
وتنكط بحظنك
حياة

وما كان رجاؤنا يصلُ

كنا بشرًا صيرهم الانتظارُ فزاعةً، يشتلون المرارة سعيًا؛ قطيعاً ضلّله
جرس الهاوية، ويجهل أين تكون المراعي؛

فيا سيدي خذني ابنا لأناديك يا أبتِ:

هذا شجري وذاك مأوك فلا تقطعني بالحنين. والحنين ابتلاء أوله
تذكّر الماء وآخره سراب يغتصب العمر في الظهيرة. لم تكن تذكر
أسماءنا حين رجوناك:

خذ الحيل منا واتركنا ضامرين في ترابنا. لسنا ماء لنسيل في كل
الدروب ولم تكن أمانا عاهرة لتضيع أنسابنا، ونظل ننادي وجوها
غريبة يا أبتِ..

لم تكن حائطا لتسندنا يوم أوهن البرد خطانا؛ لم تكن أنينا
لنكتمك؛ لم تكن عطشا لنرويك، ولم تكن صحراء لنجتنبها.. كنت
دريا ومشيئاك...

ناديتنا:

أنا الغاية وانتظاركم،

أنتم خطى تتحلل من صفاتها؛ تضر نواحا على هيئة الأبد. الحيرة
مرآتكم وأنتم تتشكلون على هيئة الطير، ويتحل السراب
أسماءكم...

أوهنتنا الحيرة على هيئة السؤال: أين المنتهى؟! والأفق واحد لا
صفات له؛ الفناء يركض خلفنا شاهرا ذكورته ليبنى بنا..
أقدامنا تمشي على جمر لا يستهان به؛ والعيون تصرخ دمعاتها
اليابسة كأيلول..

ما عرفنا البداية ومضيها إلى نقطة في أعالي النون نحسبها نحن
وهي أنت تشوي أقدامنا والخطى

وهنت...

الرَّسُولَةُ

أيتها الفيضُ الموقنُ بمائه. ألتنامُ على زندِ الفجرِ كي تحاكي الله...
 ما كنتُ بعيداً غير أن السنينَ أخرتني. روت لي الحكايا لأظل في بطن
 أمي سنيناً..

ولدتُ وجدتكِ غادرتني..

ما حيلتي! كلما شممتُ رائحةَ الصبحِ فيك أنادم قهوتي؛ أختصر
 الطريقَ إليكِ بي

أنثر رائحتك في عيون من يأتي وراءك، عبرك، قبلكِ ألعنُ حسرتي
 التي تضجُّ في جسدي وما كان جسراً إليكِ، غير أنني أطعنه بحضوركِ
 يابهةً الماءِ / أولها / لهفتها / وبي عطش لا يحدُّ

أحبك موتاً هواءً تناسلَ في البعدِ قربي أجنح لـ الليل
 أنادم النجم الذي يطوف في كوكب الرب أنتِ قلتِ النبوءاتُ تأتي
 وقلتُ تأخر الوحيُ عني ليشرقَ في صوتكِ صرخةً للبريةِ قلتُ هي
 على النهرِ تعمَّدُ العابرين وقلتُ خذي مني تالي السنين إنها في
 حفتني..

قلتُ هو الربُّ يجثو على ركبتيه يطلبُ غفراني؛ أخرتني حكاياهُ في
بطنِ أمي؛ وأنتِ تشقين أرضاً بعيدة، وينمو سدركُ جسداً من الأيامِ

وأبصرتُكِ تخطفين الهوى.. شهقتُ؛ وكانتِ الصحراءُ صوتي؛
جسدي؛ عصابةً فوق عيني؛ سواداً يغسلُ شعرَ الحروفِ بالرمْلِ، يجفُّفه
بالرحيلِ

أيتها الرسولُ الرسولُ وما كنتُ شعباً ضلَّ هدىَ الحبِّ ليرشدني
اللهُ بكِ!

أترك قهوتك الصباحية في مذاق خطاي لأجدل طريقاً من الشمس
والحيرة.

الحيرة شمس تجفُّ. صعودٌ إلى أزرق لا يحدُّ أدعوه ربي؛ بصرٌ
لم يجد ربنا في قبره قلتُ صلبتُ تحسستُ موتي قلتُ سعدتُ مني
إليكِ

والسماواتُ خيطُ حذائكِ
بياضُ صرَّتْكِ في مهادِ الأسي
ثوبٌ لخجلٍ يقطرُ من شجرِ نهديكِ

والأبديةُ أغصانكِ اليابسة؛ رعشةُ اليتيم في؛ نومي على طارفِ السهدِ
دونكِ

وأنتِ المياهُ التي لاتملُ العطاشُ

ومنك أخط الهوى عنبراً على أول الريح كي تبل الأقصي:
أحبك ليس سؤالاً وليس ارتعاش قصيدة وليس ارتجافي على عتباتك
وليس تراباً اعمي به الناظرين وليس انتشاراً لوجدٍ وليس تصحيح
أخطاء ربي وليس ابتكار الحياة ثانية وليس افتعالاً لغفو على صدرك
وليس صراخاً بوجه رملي وليس خطى تبدأ منك إليك إلى الموت
وليس انتظاراً لمائك وليس انتظاراً يديك تلامس ندوب السنين في
مقلتي وليس بصراً وليس شمساً وليس ماءً وليس غطاءً لليل
الغريب وليس حراسةً أو هام دمع هو التوق إذ يفترش تربتي وليس
اكتمال يوم نسيناه صباحاً...

ليس لأنك جنون يبتكر سيرتي
وليس لأنك.. تعيدين روحي إلى أمها
وليس لأنني أخاف موتاً يواسد عزلتي...

أنتِ كتابُ الأبجديات؛ وردٌ على مفارقِ العابرين؛ جرسٌ يرتل الضوء،
 صلاةٌ غائبين؛ سلالٌ بخورٍ نستقبلُ بها الأعياد؛ حنَّاءٌ نخضبُ به شعر
 الأيام؛ مطرٌ يبيلُ صغارَ القطا في أول الصيف، يغسلهم من غبار
 السنين

أيُّتها العالية: وريثةُ الروح؛ شمعدانُ البهجة؛ أكاليلُ البياض على
 رؤوس العرائس

بياضكِ صبحٌ / نومكِ صبحٌ / يتمكِ صبحٌ / سوادكِ صبحٌ / رائحتكِ
 التي تتدلى من شجر الوقت صبحٌ
 لا رائحة أيامكِ تنثني؛

ولا زيت سراجكِ ينتهي؛

توقدين الشموع على قبور الأحبّة فتتناهى أرواحهم
 وأنت صلاة..

سحابٌ يجيءُ بغتةً يقبلُ عشباً أضناه فُقدُ الرعاةِ وصوتِ ناياتهم لستِ
حجراً طاشَ في الهواءِ؛ وما كنتِ قبلةً خاطفةً بين عاشقين يودعان
أيامهم في مطار. لستِ صوتاً لأجراسِ الكنائسِ تقيمُ قداساً على روح
غائبٍ لن يعود. لستِ فجرًا ضلتُ خطاهُ مشيةً الصبحِ؛

أنتِ: حياةٌ تضرُّ عمرًا نتوارثه منذ آدمَ حياةً تنهر الخيل وهي تفتح
أيامنا للأسى؛

نداءُ البعيدِ لصوته؛ موسيقى ترتلُ خطاهُ وتفتح لها البيان أنتِ ما
فقدنا من الحب

لستِ وردةً في مزهريّة / لستِ حديقةً / لستِ شجرةً يداعب أوراقه
الريحِ والعابرون / ولستِ بساطاً تمدّه الأيام..

يأطاقة المتخيل؛ تبدع الروح على هيئتها؛ على مائها وهوائها أيُّها
الألفةُ التي ترمي غيمها على العابرين؛ المارةُ من جرح الهواء؛
العابرةُ إلى دمي من رائحةِ الظلمة..
العبرةُ تستفيقُ على صوتك، وأجراسُ الكنائسُ تباركُ هلولك
كفضاءٍ يندب الروح

المارةُ الحفاةُ يسألون من تكون؟ القصائد تخفي ظلها في عباءتك
السوداء

أطرزُ الوقت على فستانك المنسي؛ وأطلب من النهار ديةً جُرحي؛
ووحدي ألمُ الغبارِ من هواءِ مرورك
أنقيه كحبات عدسٍ بأيدي الأمهات
وأنت تغزلين الهواءَ

كخيطةٍ رفيع

تربطين به الروح...

أبتكرك طريقاً نداءً مرآةً أتملى بها داخلي لأحنو وأوقظ
جثتي كما شجرٌ يرتجى الماء؛ كصهيل خيول تمرُّ
صوتي يصير سحاباً؛ غمامةً من الريح والعطر حين أناديك أمسكُ
فرحي بيدي / يرقصُ منتشياً بموته

أقرأك سورة في كتابِ الهوى

أنادم الربَّ

أعطيه حروفي

لم يعد لي غير أن أعدَّ أيامك منتظراً خطاها

أدونها في كل صوتٍ؛

على وجوه المارة العابسين / على زوايا البيوت / أبوابها المغلقة /
حجارة الحيطان / ألونها كما رغبة كررتها الذنوب...

أحبك كمن يرمي نفسه في ماء نهر يفيض..
 أيتها العالية / ولستِ نجماً / القريبة إلى خطوتي ولستِ تراباً أنت
 التي تجيب الضراعة ولستِ رباً
 أغسل الماء بك / بوجهك / بجسدك الذي يرتل الصراخ وأشربه /
 أستحم به / وتذهب كلُّ الخطايا التي ما عرفتُ قامتي أو تجيء
 أتلمسُ سورة الحب مرسومةً في جبينك / ألمسُ نهديك مثل قطا
 ضيع الصائدين
 وابتلُّ ابتلُّ
 ولستِ ماءً

...

أُنشى الفَراسَة: شهقَة القَرين

أقود الفراسة إلى حقل أيامك؛ أمر الفعل أن ينحني ليؤرخ اليقين /
هذي هي...

ياليلاً مأخوذة الأنفاس بها

دع عنك لونك؛ إنحن بسوادك؛ لامس السنايل التضحك مثل نهود
جفلت من الرغبة/ هذي هي...

دعنا على بابها نتلقن الضوء نرى الخوف يشهق برائحته حين ندنو
من سهيل الفتنة

لن نرتوي؛ سنزرع لأنحائها أن لاتجفل.. جئنا نمشط الحلم عند
عتباتك

الشهقة تقف حجراً في طريق نسيته الأقدام، وتركنا النوم في فراش
الجنيات

خطفنا حصان المعجزات كي نُربي ولعنا بالسحر.

ها أنا أفارق الليل؛ أطل على نبرةٍ بَحَ صوتُها؛ أصددها كجبال عارية؛
شهيتي يتلوني وأكتم رغبتني في الزفير/ أحبسك.. لم يعد جوفي
يتسع..

أراود البعيد عن نهده؛ أدعوه لوليمة يصنعها العري وليمته
عامرة بالشفاعة لروح تُدليني إلى مأوى المطر/ أحدق في الوجه
آه ياجحيماً يقطع المغفرة أعطني جذوتي؛ دلني إلى كيف أنجو من
بياض يخلع الأبواب / يرمي الجمر فوق شهيتي

ها أنا أغرف الماء من شفةٍ تنز بالريح وأترك مآتمي ترتعش للفرار
الطفولة تحتسي السُّحبَ وأنا جسدٌ جنية مبهورةٌ بالقرين. كل ما
يدنو من البهجة يحتضر؛ كل التواريخ تلهث بالعممة وتغتصبي على
بابها

كيف ألامسُ دمها ولا يشهق النوم كيف أخبئ كنز الغرابة في
تمتامي

وأنا في فتنة الطريق

إلى جثة الفجيعة

تعالى لنحص ماتناثرَ من جثثِ الطير وهي تعبرُ سماءكِ أغافلُ عمري
أرضعُ من حلمةٍ غُسلت بالغموض أستدين طفولتي وأطلب من
الريح أن نلعب الفرار

هاهي الهاوية تشع؛ أظفر في شهوتي؛
يا سرابي.. لا تقتل الجمر فيّ. خذني إلى شبق يعرف الماء يعرف كيف
يخنق الوحشة في رائحة تدفع الباب
أردك لي
أكسو جثتي بروح أستلفها من النشيج؛
هاتي صوتك يتلو عليّ كتابي.
قودي النار إلى مكان القروح...

أمسكُ الرؤى وأتركُ الهواء ينشج:
هذا توأمك يا الغارقة في اليقين؛ يا المعطوبة اللذة
ألّواء يتعفنُ كلما أملاكِ بياضُ الآخر اخطفني بياضك: جيفة
تتناسل... ضيعك الريحُ والثلجُ واللونُ والغفلةُ النائمة.

أضع الوردة أمام باب صراخك لتخطو الظهيرة إليك. أحرّضُ الثلجَ
 كي ينهمر ماءً من على أعصانكِ أغرف بغتتك من صراخي. أرى
 اختلاجي شاهقاً..

ألتفصيل تلهج بشراسةِ الجرح. الأعراس تروّض شيخوختي المائلة
 في النحيب يافتنة الإفصاح..
 ليشعلَ النائحون صدايَ

ناراً تحرسها الضلالة

يا الغزارة إذ تهطلُ من شاهقِ الغيم، فيشرب خوفي الوسيم صدى
 حمى تجوب صوت المؤذن

لنحص الخسارات.. لندسَ أجسادنا في عالم الغيب نربّي التراتيل
 في بهو أوجاعنا نضرم الأمس في شهوةِ الفقد؛ نستلذُّ بولع
 يطرزُ أرواحنا على ثوب الغياب

صبرنا

أشعلنا جحيم الفقد وتدفأنا به كأرواح عاقرة؛

جمعنا بقايا حيض الفداحة لنصنع سحراً يعيدُ الحياة لأيامنا الأرملة؛
من غرَّرَ بأشلائنا لتتشكل جسداً يعيدُ شراسته للحب والفقد والحزن
والارتباك!؟

قتلى قتلى

نقتفي نقاط الدم في طريق العذوبة

راحلتنا صوت النائحات علينا

أوشكُ أن أفلي الرائحة عن نارك المطفأة

أوشكُ أن أزرع الخطيئة جنة في لذة المغفرة

أوشكُ أن...

بقاياي تحسو الهزيمة من لذة الكأس بين يدي حضورك
يا السماء المصابة بخناجر الأسلاف يا الفرس الجارحة للطريق

أباغت المشهد: بروق تكتحل برماد كاهلي؛ والسكينة تقود الكواكب
إلى سحنةٍ فقدتها السماء

تلوحين بنحيب يشبه الغيم:

يا عابراً بهجة أضاعها جسدي؛ لاتسرف في.. شهيتي رماد السنين
وأنت زفيري. صمتي عارٍ من جسدي؛ وشهقتي شردت في العشاء
الأخير.

هذا جسدي ليس بابلياً.. المسه؛

تغويك اللعنة بازغة من وضوح النهدين!. المساءات تتالي؛ أزيين
شعري لموتي لا يمرّون.. ياسوادي الأخير:

النتوءات تطفح من رمادٍ يشكّل قامتي؛

لامسها / لامسيها...

بين موتين نتبادل الهتاف
يحيا هذا النهار البهيج إذ يسترد من الليل شغفاً بالحياة
يحيا هذا الجرح فاتحاً فمه دهشةً ضارية
وتحيا أشلاؤنا إذ تجتمع من عويلٍ بعيد
نشكّلها جسداً وننفخ فيه
صراخاً / حياةً

السيدة البيضاء التي لا تخطفها الزرقة

تتكئ على الزرقة؛

تضحك فتخطفُ البياضَ مِنَ الكونِ..

لا تتجسد؛

قلتُ: حواسُ؛ رائحةٌ تعلق بكلِّ ما تمرُّ به. ملمسٌ لا يفارق حتى في النوم. عذوبةٌ تسيل.. يزداد عطشك كلما شربت من يقظتها قلتُ: تذهيبين، تظل رائحتك تصلِّي في المكان.. أغفو؛ ألمس الرائحة التي بطعم الكستناء وهي تمدُّ يدها لتلامس وجهي. لا تمشي على أرضٍ ولا تطير في سماء. لا تبني بيتاً.. ولا تغادر. تتأرجح في كبهجةٍ مشاع

أقول: ماء؛ لونها حياة. طعمها أزرق. رائحتها ولادة الكون. تسيلُ على غفلةٍ من اليقظة كقشعريرةٍ فقدت وعيها

لاتبادلها الكلام..

الكلام: فائض

صعدتُ سُلمَ الغيب؛ أبصرتُ ثمارها تتدلى من قوس قزح نبتَ فجأةً
كاحتفال..

دخلت متاهة السلاسة؛ حيث الشبقُ غَضُ والشهوة مكحلة بالظماً؛
وبيدٍ ترتجفُ أبعدتُ غلالةَ النوم لأرى سرير الحياة؛ تسربتُ إليّ،
فتحت فمي مثل أبله غادره الكلام. قلتُ: سأجمع فيوضات العشاق
من كل العصور وأخبزه رغيماً واحداً...

اختلطت الزرقة الـ تتكى عليها بالبياض الذي تضحكه، ولم تحتج
للكلام لتقول: حقي!

قلتُ: سأعجن ما غادره المحبون في دفاترهم المخبأة وأصنع منه
كلمة واحدة؛ أقدمها لك حينما تشرقين كارتجافٍ حاف يسري في
جسد اليقين. أشرقت.. ولم تتكلم.

قلت في سري: أدرك الآن لم لا تتكلم الشمس!

قالت: احفن من دمي كي تنهض. فوقعتُ في بئر الطاعة
 قالت: ها أنا حياةٍ متثورة فيك.. تخلص مني. فربطتُ شرودي إلى
 شجرةٍ أنهكتها المعاصي

كانت تحول كل الدروب لنداءٍ يشدني صوبها كلما أغمضَ البعيدُ
 عينيه. عثراتي تصحبني كالبخور وأنا أمضي غير آبهٍ بأمم تطاردني
 قلتُ: أريدُ أجنحتي فأقدامي يبست. عمدتني برغبة الطير وكتبتُ
 بحاسة اللمس على هواءٍ داخلي:

ستعود

قالت: سأكون دماً أو نفساً. فجمعتُ بعضي من زفير الجهات

أيتها البيضاء التي لا تخطفها الزرقة:

قليلك كثير؛ قيامة الأموات من عطشهم. وجسدي راية المصلين..

تعالى نعبى راحتك؛ نجعلها علامة لبراءة الجرح من سكين الفقد،
نبيعها على الأرصفة.. للمكتئبين؛ من فارقتهم حبيباتهم؛ اللواتي
خذهن عشاقهن؛ من فقدوا أوطانهم وأمهاتهم؛ للحرانى...

حين تغيب

الشوارع، الأرصفة، الدروب، المقاهي.. تئن تحت أختام فقدت
أسنانها، وينام الحراس أمام عتبات اليأس؛
ولا أرى في الوجوه سوى ليل يفتأ بصري، فأمضي متعثراً في
المسالك، مغمساً قدمي بمحبرة الذاكرة لتعرف الطريق.

الهاجس تنتابها أحياناً: كأن تغيب مثلاً كمصادفة فاجأها الصيادُ.
 كأن تشعر أن جودها ارتباك يتعثر بحراب الخطيئة. كأن تفكر في
 الطريق وهي تتعزز على سلالة قديمة للريح. كأن تظن غيابها جرعة
 الدواء الأخيرة من جذام الرجاء. كأن تفكر: سلتُ أكثر مما يجب
 وأقدام الماء تتعب من الشساعة. كأن تحاسب رعونتها حين نكون
 معاً، وتضبط نفسها تغتسل بصورتها على المرأة لكنها
 تعود راكضة حافية حين أقول لها:

أحبك حتى تنفجر الشمس.

الحياة قبلها كانت وقتاً يتجمهر أمام سنين تطلُّ منتحبة على القتلى
من الأيام..

انتظرت طويلاً على شواطئ الأنهار؛ انتظرت في مقاهِ الآخرين..
وكنتُ أهربُ من الظمأ بغريزة حسانِ برِّي؛ أزيّن الفتنة بأثار
متسولين يمرّون بي.

حين أبصرتها من بعيد، فتحتُ كتاب النذور فوجدتُ رسماً لها. قلتُ:
سينقطع بيننا حبل الليل. سأعريّ روعي حينها؛ أنفخ فيها من مطر
منبوذ؛ واتركها تجفّ في شمسك من ماء الآخرين. لن نسقط في
حفرة الموتى؛ تلك التي ينسجها الليل وهو يعبر نحو عزلة مرصعة
بالملوحة.

إذ اذكر أن الحب كائن يتفياً الصمت..

إذ أعود لاهتاً نحو جدران النوم، أتلمس ما تساقط منك في غرفة
العزلة..

إذ أغني بمفردي «.. بياع من يشتري حزني ومواويلي...»

أقول أنت..

أتأملُ أيامي المغلولة إلى الأفق.. قلبي ضلّ طريق البيت؛ والدروب
تفرّخني طفلاً يحبو إلى عتباتك ولا يصل. أروض صورتك وهي تخرجُ
من خزائن الأمس. أعلقها وساماً على صدر عائدٍ من حربٍ معتمة؛ لم
يحالفه الليل فيها.

ألثفت فلا أرى.. فأشهبك إذ أرى الهواء يعرّي جسدي منك؛ ومثل
مجنونٍ أروي الحكاية لمن لا يعرفك. أضيء زلزلة النداء بجمرة
تركتها خطوتك. لنتقمص الألوان ونسدل الأزرق على المدن التي
بنت مزاراتها لأشباح الخطيئة فالخريف سيأتي كريح، أو ورقٍ يساقط،
كدمع المغادرين، من على أشجارٍ تومئ برأسها للغزاة..

يا زمني الذي يمتد كطفلٍ

وينمو كالمفردات

وحيناً أراكِ النوافذ..

وحيناً الباب الذي تركته مفتوحاً كي لا تتعبُ يدكِ..

وحيناً أفلي الأغاني المجروحة عن أثر لكِ

أقول لجدرائي: كانت هنا تتأمل صورتها..

سألتُ الشبح الذي ينتظرنِي على قبضة الباب: هل حملتَ شيئاً من
عرق نومها؟

كيف أقول للمساء تمهل ستحضر بكامل نزهتها بعد قليل! كيف أقنع
الهواء أنه دونها بلا رائحة؟.

أشردُ في طفولةٍ مبحوحة

أقلدُ الموتى

أبادلهم جثتي

المسافة خنجر الوقت، والله لم يستطع أن يكور الأبعاد نقطة.

يديّ تمتد لتفتح مشهداً لم يكتمل:

سلامٌ يصعدُ سلم البيت، ليخلق جنوناً من الرهافة في حيزٍ صغير،

أسميه عزلتي..

تصلُ محملةً بنزهات يقوم بها الهواء، إلى حدائق بكر ولم يعد بها

الإله أهدأ..

تهبطُ من سحر يقطن أعالي الفتنة: جسد وديع، يرتجف بقبلاتٍ لم

تذق حتى الهواء.. هاتِ شفاهك - تقول- لنزرع كائنات لا تعرف

الكلام، ولن يعلمها أحد كيف ترفو كفنأ!

كأن الأرض خالية من وعود الجنة. كأن الشهقات الموسومة
بحضورها تجثو على قدميها لتلون أظفارها

تارةً تمشط شعري من الليل

تفتح قلبي على مصراعيه

تارةً تلامس وجهي بشبق الناسك وهو يقبل كتاباً مقدساً تتشبث
بي، لأن الوقت يتسع ويركض مثل هاوية وتارةً أناديها: يا كل ما
بقي على الأرض من صلواتٍ لم تصلِ الله، دعيني أحفن الشفاعة
المتدفقة من بياضك وأصنع مشاعلَ للطير.

ووئيداً أتصاعدُ فيها نفساً ضيِّع كل طريق. أجلس في شرفة وقتها.
أضلُّ الدروب، بأن حلب قبل الأندلس، وأن العبور إليها يبدأ من
نقطة في القلب.. وأخيَّبُ توقعات الوشاة إذ أنجو من كمين نصبته
لي جثتي!

وكنْتُ..

في الوجد الذي يخطف الحنين ويُعريه، أبعثر الحروف لأنسج هواءً يمر
بك، أعري الزمنَ من الوقتِ لأجعله أبداً ساكناً أدعو الله أن يتسع،
ليحتويني بكِ..

لم يكن الله ضيقاً.. ولم يكن دون مُسمى؛ غير أنكِ أخذتِ المسميات
منه وأعطيته الاتساع؛ لتصبح الضلالة والهدى صلاة واحدة...

نطيرُ في زرقة ترتعش؛ لم تشرب من لعابكِ، ولم نحمل أثراً لكِ...
ورأينا الحروف تسجد على صورتكِ وما كان سحراً، ولا غرابة تشخذ
الدهشة

فأنتِ هواءٌ يتجسد حيلة للعاشق؛ والعاشق تراب يتعري لوقع صورتكِ
والعاشق اختلاط الریح بغبار القوافل وهي تسعى إلى الحجّ، وتتيه
عن كعبة الربّ حين ترى الماء

والعاشق ليل يحرسكِ من فجيعة المنتهى..

وقال ربِّي:

من حجَّ بصورتها فقد أتاني

ومن شرب ريقها جعلته حارس جنتي

ومن لامس وجهها جعلته رسولي وحملته الوحي إليها

ومن رضع حلمتها أسميتها ابني...

الرسائلُ لم تصل؛ والعراةُ أمام بابي يسندون الخليفةَ بيها،
 أجسادهم.. أنتِ الحياةُ إذ تتعري بغتة، والعاشق يعرج بين سمائكِ
 ونهديك

قوافلُ الوجد تنام على سفح بطنك الذي يشبه العرشَ نموت هناك
 ونحيا مختلطين بثغاء الذين عذبهم شوقهم لصورتكِ

وما كنتُ مرعى

غير أن العاشق حلَّ بكِ

وماتُ...

كأنما الرؤيا تخاتل المبصر لينعم باشتعال البصيرة!

أركضُ حافناً رغبتني في شفاهي، أدخل الجهات التي تطوف حول
وجهك

وما كانت الشفاه سرمداً أو فجيعة أو منةً من بقايا ربٍّ ضيعه حراسه
وما كانت الشفاه جسراً للعابرين إلى جنةٍ تقدُّ قميصها بالأصابع
وما كان الليل وجهي، غير أنه يتكور على شكل أصابع تتلمس جباه
ملائكة الرحمن وهم يسجدون لإبليس!

وقلتُ لهم:

من لم يحلُّ به صوتها ليس من عبادي
ومن لم يصلُّ على سجادة دمعها فقد ضلُّ ناري
ومن لم يحضنها كأجراس صوتي كان تراباً

كان.. طغاة ومروا

كانتِ الآلهة قبلكِ وذهبتُ تحرسُ أوهامها
وأنتِ تختلطين بفاتحة المصلي؛ فلا يعرف الله أنتِ.. أم منكِ ولدَ
وبصورتك يتجسد للعباد؛

وأنا اختلاط بينكم...

تنسجين الدنيا بأصابعك سجادةً كي أصلي
أستعجل الطريق نحوك.. بلهفة الصائمين للماء
صحو لا يستريح
بكاء لا يهدأ إلا ببركة يديك.

مثلك كان الوقت مسيِّجاً! يغوي المتعة كي تشاكس الشوارع
والمطر، وكلما كان الليل غزير الأحلام قلتُ: سأجيد الفؤاد كي لا
أسقط.

كنتُ أولدُ بين يديكِ كقافلةٍ وميض، وقد أثقلتني ظلمة الكواكب
 أن لي أن أبيت عارياً يكسوني مطرك؛ أن تسعفني رحمة البياض؛
 يا نجمةً تهذي فوق رأسي: مذعوراً كرجلٍ يركض أمام الموت..

حدقي بي، تري تفاصيلك تسبح في دمي وهو يئن بالقتلى أجتزئ
 من شفئك قبلة تتسع لتغفر للكون خطاياها، وأنت تدونين حاشية
 البهجة على طارف أيامك..

كاهلي صغيرٌ. لا يحتمل سوى صرة ضحكك. لا أريد لجثتي أن
تلازمني الطريق.. مدي يد الماء لتقطف رأس الملوحة.. وقلتُ:
المكابدات أخذت أيامي إلى المقبرة؛ مابالك تجفّفين الضحك
بشمس الوهم!، تخلعين نكهة الماء عنك!..

سأنحني مثل شبقٍ، اقبل جنون خطوتك وهي تمضي..

لن أصغي لشهقة الغروب تتلو دم العابر، كمثل طاغية صغير.. لن
أصغي سوى لأصابعك تزرع شجر الرائحة على وجهي. ولن أحفل
سوى بدمك وهو يقتل وحشة الغريب. أشبهك برأفةٍ صارت جلدي،
أشبهك بسماءٍ صارت بيتي، أشبهك بكل بعيدٍ يقود البصر إلى منازل
الضوء

يا لهذه الأنثى: أقولُ

كلُّ يومٍ تغسل الضوء بماء رحابتها

كلُّ يومٍ يمضي قلبي إلى مدرستها لابساً «مريولاً» من الزرقة

كلُّ يومٍ تنبت في طريق المدرسة أغانٍ

كلُّ يومٍ ترافقني العصافير إليها

وكلُّ يومٍ أقول لها:

صباحك غيمةٌ ذاهبةٌ إلى المدرسة.

تشبه فيما تشبه قبله شوق

وأحياناً أقول: النهار وقد جعلناه مخدّة نتوسدها كي ننام. وأحياناً
أشرد.. أتخيل نفسي عصفوراً يتسلل عبر نافذتها ويحط على
ضحكتها. وأحياناً لا أنام كي أظل حاضناً صورتها

وأحياناً أنام كي أطبق جفني على صورتها

وأحياناً أنام وقبل أن أنام أقول:

« وك تعال بحلم واحسبها إلك جيّةً واكولن جيت »

دونك؛ أنكمش إلى نقطة تائهة؛ الفصول تتعاقب على جثتي. أرى
 قلبي حافياً يهرول خائفاً والدنيا حصى مدبب. دونك؛ تُسبل الحكايا
 أجفانها وتخلد إلى قبرها؛ أتحوّل خرقة بالية تمسح غبار أي شيء
 دونك تنهار الجهاتُ

جسدي يذبل وهتافي لا يصل...

أنت التي تبني من الله بيتاً لنا تعالي؛
لأَمْضِي فِي وَاسِعِ صَوْتِكَ، أَنْحِي أَمَامَ الْفُصُولِ وَأَطْلُبُ مِنْهَا الصَّلَاةَ
حِينَ تَمْرِينِ...

تصحو الليالي حين تنام، ويغفو على خدها الصبح! أطلّ عليها
وأخفي التوابيت خلفي أسجد خلف رائحتها فتسجد معي الأرض
والكائنات..

أصلي:

خذيّني إلى رحمك فلم أجد سلماً لأصعد نحو السماء؛ لا تلديني إلى
الأرض والناس...

يداك المشيئة

وأنا حارس اللحم

أقف على بابك متسوِّلاً أخرساً..

أقول للهواء قف لا تمر.. إنها نائمة..

صدر للشاعر:

نون الرعاة: شعر – 2004

التنزيل: شعر – 2007

تحت الطبع:

نواح الغريب

حكاية لم ينقرها الطير: نص

Khalaf88@hotmail.com

إذا رغبت بالحصول على نسخة ورقية

فمن هنا

<http://www.lulu.com/content/4647068>

KOUHL OF DESIRE
KHALAF ALI AL KHALAF

